

أربع سنوات من المغامرة – رسالة إلى رفقائي القوميين الاجتماعيين – ماهر يعقوب

رفيقتي ورفقائي

ما أراه يتفاعل فيما بيننا بعد مضي عدة أشهر على الانتخابات الأخيرة في 13 أيلول الماضي، ليعلن أننا في الحقيقة أبعد ما نكون عن فهمنا الصحيح لحزبنا، وأننا نطلّ بصورة أشجع مما صورّه وروّج له معارضونا وأعداؤنا عن نقاط ضعفنا، وأننا في الحقيقة نفتقد عموماً للمسؤول المسؤول، الذي يستشرف ويقرّر وفق مصلحة الحزب والأمة. نعم وإن كنت قاسياً بحق أنفسنا فإننا بمعظمنا حتى لا أقول كلنا، بعيدون عن الحالة المتوخاة التي أراد لنا سعادته أن نصلها.

رفيقتي ورفقائي

كنت أأمل وما زلت من جميع القوميين أينما تموضعوا تنظيمياً أو ممن لا يتموضعون، أن نعمل لتحويل الأزمة الحزبية الحالية إلى فرصة تاريخية نعمل من خلالها صادقين لتحقيق وحدة الحزب، لكن ماذا حدث؟ ازداد التشنج وتبادل الاتهامات وتقاذف النعوت والصفات السلبية بين الرفقاء من كلا الطرفين، دون أن نتلمس توجيهات عليا للحد من انتشار هذه الظاهرة المذمومة في حزبنا. فكل يوم نقرأ على صفحات التواصل الاجتماعي تهجمات وتوعدّات واتهامات لا تليق بالحزب ولا بأعضائه. مما يوحي ويؤشر بقوة على إهمال القيادات الحزبية في العقود الماضية لعملية البناء العقائدي والأخلاقي والمناقبي لكل المقبلين على الدعوة، بل أنهم أطلقوا لهم العنان ليكونوا أبواقاً مدافعة عنهم لا بل شتامة عنهم ...

أيها القوميون إن كنا نعتبر حزبنا الأمة السورية المصغّرة وأنه دولة هذه الأمة، وأن خلاصها من واقعها المتردي المقسم المريض الضعيف يقع على عاتق حزبنا، وأن أعضائه هم جنود نهضتها، وأنهم يحملون أمانة الدم في عروقهم بحيث يؤدون هذه الأمانة وقت تطلبها الأمة، فكم هو أبسط من ذلك بكثير أن نوقف تراشقنا وتبادل اتهاماتنا، وإظهار ضعفنا وعفونتنا إلى الأوساط المتربصة بنا!!!

ترانا نطلب من حكومات الكيانات أن تحترمنا وتقدرّ تضحياتنا، وأن يكون لنا فيها مساحات فكرية وسياسية.. وأن لا تُهدر فيها تضحياتنا.. الخ، فهل ما نقوم به ونصدّره عن أخلاقنا ومناقبنا المتنابهة يخدم هذا المطلب، ويزيد من احترام تلك الحكومات وشعبنا في كياناتها للحزب والقوميين؟!!

إنني أجد ما يُكتب عن بعضنا في هذه الفترة يتدنى لدرجة سيصفها حزبنا في قادم الأيام “بالمشيئة” نعم ما وصلنا إليه لهو معيب بحق زعيمنا وقدوته، وبحق حزبنا وتاريخه ونضالاته، وبحق عقيدتنا التي تشكل الخلاص لأمة يسعى أعداؤها لدفنها كل يوم.

رفيقتي ورفقائي

آن الأوان إن كنا ننشد فعلاً وحدة الحزب الحقيقية، وعودته ليأخذ مرتبته الطليعية في أمتنا، أن نوقف فوراً هذه المهاترات والتراشقات الغريبة عنا، وأن يقاطع القوميون الواعون كل الأعضاء الذين يمتنون هذا الأسلوب على صفحات التواصل الاجتماعي، وأن يعلنوهم أعداء الحزب وأعداء وحدته فلا فرق بينهم وبين من تنكبوا مهمة تشويه الحزب في الوطن وخارجه.

للبطولة والرجولة مساراتها، ولم تكن يوماً في تبادلنا الاتهامات، ولا بدفاعنا عن أشخاص أو مسؤولين عملنا منهن آلهة ومخلصين، وحمأة عهد، ومؤتمنين على دماء الشهداء و و... وكأننا أصبحنا نثق بالأشخاص أكثر مما نثق بالمؤسسات الحزبية، أو أننا نفترض في غياب شخص معين أو مسؤول هنا وهناك ضياعاً للقضية وهدراً للأمانة وتفريطاً بالمنجزات...

لا يا حضرات، هذا بعيد كل البعد عن عقيدتنا ودستورنا وما أسسه فينا سعادته. بدل أن نتحارب تارة بالسيطرة على مراكز بعضنا، وأخرى نستعين بغيرنا على بعضنا، تعالوا نعود إلى صفائنا، إلى النقاء السوري الذي تميزنا فيه واستنهضه فينا سعادته من أصالتنا السورية الممتدة إلى آلاف السنين. تعالوا نفكر بوجداننا القومي، ونتساءل إن كان المعلم بيننا هل سيكون راضياً على كل منا؟!!!

إن سوريانا بين الحياة والموت أيها الرفقاء والرفيقات ونحن نتناش بعضنا على مسؤولية من هنا، أو على (رمز) من هناك، ونسينا أن القدوة الرمز لدينا هو سعادته و فقط سعادته.

حضرات الرفيقات والرفقاء..

بالأمس كنا في وحدات حزبية واحدة، كنا نجتمع معاً، نخطط ونبتكر الأفكار ونتسابق لتحقيق نموّ ومصالحة الحزب... واتحدت تضحياتنا وعرقنا ودمائنا في سبيل الدفاع عن سوريا تجاه ما يهددها...

كنا جسماً واحداً وروحاً واحدة، جمعتنا نفس العقيدة ونفس الدستور ونفس النظام، ما الذي أصابنا اليوم لننقسم في وجه بعضنا بهذه العداوة؟!!! هل كنا ندجل على بعضنا؟ هل كنا نزيّف حقيقتنا؟ هل كان كلّ منا يهوذا داخل حزبنا؟

أبهذا نعيد الحزب الى قوته وألقه؟!.. ألا تدفعنا المرحلة والمصلحة الحزبية التي ضحّى جميعنا في سبيلها ما أمكنه، وعمل طاقته لخدمتها أن نتوقف عن هذا العزف الأليم الذي يحفر في نفوسنا، في روحيتنا، في صفحات نقائنا وهيبة إطلالتنا؟!!!

قد تأخذنا الحميّة والعصبية غير الواعية والغيرة الشخصية بعض الأوقات لنكون ما لا نحب وما لا يجب أن نكون... لكن الغلط كل الغلط أن نبقى كذلك لوقت أطول، فالحكيم من يعرف كيف يوقف هدر نفسه.

لا يستثنى أحد منا نفسه أو يخلي مسؤوليته عما يجري ويتفشّى في فلكننا الداخلي أو الخارجي، فعلى الأقل قادر كل منا أن يُقصي عنه من يرغب أو يتقصد تشويه الحزب وإقامة الفتنة فيه، وإن لم يتمكن من إقصاء المسيئين فليُبعد نفسه عنهم، وليشعّ ولو فردياً بما ولّده فيه سعادته من نور النهضة.

رفقائي ... إياكم والتحرّب خلف أشخاص، مطلق من كانوا ومهما كان تاريخهم، نحن نتحرّب في

حزبنا، ولقضيته وزعيمه ونظامه، الأفراد يأتون ويذهبون أما الحزب فباق.

إياكم أن تجافي بينكم العصبية الفردية أو الجماعية أو حتى التنظيمية ... كلنا تعاقدنا مع سعادته وانتمينا بنفس الطريقة ولنفس الهدف وآمنا بنفس المبادئ وحملنا نفس القضية التي اعتبرناها تساوي وجودنا.

الأفراد في الحزب مهما علا شأنهم يبقون أفراداً يخطئون ويصيبون، لكن نحن في انتمائنا وإيماننا ومحبتنا لبعضنا وعصبية تأخينا القومي بشكل اليقين الذي لا يتزعزع لو تزعزع كل الافراد وكل العالم.

أحبوا بعضكم بعضاً، ولا تكونوا ديّانين تطلقون الأحكام كيفما اتفق، بل دعوا الخلافات والمواقف الفردية تعالجها المؤسسات الحزبية المختصة.

قد أكون قسوت على نفسي قبل أن أقسو عليكم، لكن الوضع بالفعل لا يليق بنا، لا بل هو لطفة سوداء بتاريخنا، فهل من وقفة مع الذات تدفعنا كلنا للتخلي عن نزعاتنا الفردية وولاءاتنا الشخصية فنعود جنوداً في نهضة سعادته التي أوجدها لإحياء أمتنا وارتقائها؟!!

فليكن نداء سعادته صادحاً دائماً في قلوبنا وحناجرنا: “أيها السوريون القوميون، أنكم ارتبطتم ببعضكم ببعض وربطتم أرواحكم بعضها ببعض، لأنكم تعملون في سبيل المبادئ التي جمعتكم ببعضكم إلى بعض. فأبقوا منضمين متضامنين وكونوا عصبية واحدة أينما سرتهم وكيفما توجهتمهم.”

ولتحي سوريا ويحي سعادته